Journal Of the Iraqia University (66-1) March (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

رثاء الأبناء عند ابن الرومي(خصوصية الأداء وحساسية الموقف)

مدرس مساعد انتصار كاظم عبد

تربية الديوانية

Children's lamentation according to Ibn al-Rumi)Performance specificity and situation sensitivity(

Intisar Kazem Abd - Assistant LecturerDiwaniyah education

Intsarkadim2020@gmail.com

10.58564/MABDAA.62.1.2024.748

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة ظاهرة الرثاء عند ابن الرومي، وقد جاء في تمهيد، تناولنا فيه بالرؤية النقدية غرض الرثاء بوصفه من الموضوعات الأصيلة في الشعر العربي، قديمه وحديثه. ثم بني البحث على ثلاث فقرات، جاءت الأولى لرصد خصوصية رثاء الأبناء عند ابن الرومي، والثانية ركزت على خصوصية لغة الرثاء لديه، وبحثنا في الفقرة الثالثة الصورة الشعرية وجماليتها في رثاء الأبناء.**كلمات مفتاحية: الرثاء ، الشعر العربي ، ابن الرومي ، فقد الأبناء ، اللغة الشعرية**

Summary:

The research aims to study the phenomenon of lamentation according to Ibn al-Rumi. It was mentioned in an introduction, in which we dealt with a critical vision of the purpose of lamentation as one of the original themes in Arabic poetry, ancient and modern. Then the research was built on three paragraphs. The first was to monitor the specificity of Ibn al-Rumi's lamentation for children, and the second focused on the specificity of his language of lamentation. In the third paragraph, we discussed the poetic image and its beauty in children's lamentation.

Keywords: lamentation, Arabic poetry, Ibn Rumi, loss of children, poetic language

مقدمة:

الرثاء واحد من الفنون الشعرية القديمة لدى الكثير من الشعراء، إذ كان له حضور واضح في الإبداع الشعري، والمتتبع للشعر الخاص بالرثاء يلاحظ وفرة هذا الموضوع، وكثرة شعرائه. وقد كان ابن الرومي صاحب القدر الأكبر فيه، فقد أتت عليه فواجع الحياة بموت أبنائه وزوجته، مما أورثه حرقة الفقد، ومرارة العيش، ومن ثم حاول هذا البحث رصد هذه الظاهرة في شعر ابن الرومي. وخلص إلى أن الرثاء عند ابن الرومي يمثل ظاهرة تنفرد عن مثيلاتها عند الشعراء الآخرين، لما لها من بعد إنساني عاطفي عند الشاعر ابن الرومي.

التمهيد: في الرثاء

عرف الشعراء الرثاء منذ عصر ما قبل الإسلام، وكان من أغراضهم الرئيسة، وقلما نجد شاعراً لم ينظم فيه، لأنه صورة صادقة لعمق العلاقات الاجتماعية، ومرآة تنعكس عليها العاطفة الصادقة تجاه المرثي، ويرتكز على العاطفة، بل يمكن القول: إنه أصفى أنواع الشعر العاطفي، وأكثرها اتساقاً مع النفس الإنسانية، وهو "ذكر مناقب الميت ومآثره ومفاخره، ووصف الحزن عليه، والجزع لفقده، وبيان مكانته في قومه، وأثره في مجتمعه الذي كان يعيش فيه" (الخفاجي، ١٩٩٢، ٣١٥)، ولأنه يستمد مادته من القلب، ويعبر عن الشعور، فيجد فيه الشاعر متنفساً لما يكنه قلبه من آلام وأشجان يؤطرها برؤية سامية عميقة، وكلما كانت العلاقة بالموتى متينة جاءت القصائد أكثر قوة، وأصدق عاطفة، ولم ينظم الشعراء الأوائل قصائد خاصة بالرثاء، بل تكاد الموضوعات تشترك في القصيدة على وفق نظام خاص سارت عليه القصائد العربية، وكثيراً ما يقترن شعر

الحماسة بشعر الرثاء، لأن الشاعر كان يقصد الثار من رثائه (النجار، ٢٠١٢، ٥٩)لما كان الرثاء فناً أدبياً يعبر عن الألم والوجع والأسى، فهو باصطلاح أهل اللغة: بكاء الميت، وتعداد حسناته، وتمجيد صفاته ومناقبه بالشعر والنثر، فقد عرفه العرب منذ عصر ما قبل الإسلام، وهو العصر الذي كثرت فيه الأيام، فلا يركن أقوام القتلى حتى تطالب بدم قتلاها، فيستحر القتل، وبالضرورة يشيع الرثاء، فهو من الموضوعات القريبة من النفس، وهو "يشكل ديواناً كبيراً في أدبنا العربي، وبخاصة الجاهلي، إذ كان للشعراء الجاهليين نصيب وافر منه، إذ نجدهم قد رثوا رؤساءهم وملوكهم وفرسانهم وقوادهم ... وكذلك رثوا حيواناتهم المستأنسة، وحتى طيورهم، كما رثى بعضهم شبابه ونفسه، وعضواً ذهب من جسده ... إنهم جادوا بدموع غزيرة على كل شيء عزيز عندهم بمقطوعات وقصائد مستقلة قائمة بذاتها" (رشيد، ١٩٨٩، ٣٤)، ولهذا اختلفت النظرة إلى الرثاء مع ظهور الإسلام، ونزول القرآن الكريم، وتوسع رقعة الدولة الإسلامية مع الفتوح التي جابت أقطار الأرض، فقد ارتبط الرثاء بالمناحة واللطم، وخاصة عند قبر الفقيد، بل قل القتيل مع أيام العرب التي يحييها العربي (ضيف، د. ت، ٢٠٧).

المبحث الأول: رثاء الأبناء

يستبكي الشاعر ابن الرومي عينيه على ما حلَّت به من المصيبة، ويأخذ بسرد ما حدث له، وقد يرتكز الشاعر في "قصيدته على سرد الماضي الذي فقد فيه ابنه، وينهي ذلك القسم بحديث الشاعر بأنه خسر كل شيء، وفقد السعادة بسبب فقدانه لابنه، حيث ترى ذلك في مطلع القصيدة" (الغفاري، ٢٠١٦، ١٠)، وهي مقدمة القصيدة، فكانت بداية متناسبة مع الغرض (المعنى) الذي ينظم الشاعر فيه، وكلما كانت الألفاظ والمعاني متلائمة مع مناسبة القصيدة كانت أفضل، وتتمثل مقدمة قصيدة ابن الرومي بقوله (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٤):

بكاؤكُما يشفي وإن كان لا يجدي
فجودا فقد أودى نظيركما عندي
...
ألا قـاتل اللهُ الـمنـايا ورميـها
من القومِ حَبّات القلوب على عَمدِ
توخَّى حِمَامُ الموت أوسطَ صبيتي
فلله كيـف اخـتـار واسطـةَ العقدِ

حيث افتتح الشاعر قصيدته بحزنه على ولده فهو يخاطب عينيه مبيناً أن البكاء، ربما يريح النفس، ولكنه لا يرد ميتاً، ولا يجدي في ذلك شيئاً، فقد مات مَنْ كان بالنسبة للشاعر كعينيه، إذ "لا يخفى التراسل الصوتي بين (يجدي) و(جودا)، وفي تكرار حرف الدال الذي يشبه قرع ناقوس الخطر لما يحمله من طاقة عالية وجليلة، وكل ذلك يأتي مندمجاً مع الحالة الشعورية من دون وجود تكلف، ثم يستشعر ابن الرومي عبثية الوجود في موقف الموت، فهو يهدي إلى التراب هدية غالية يبكي عليها حسرةً وجزعاً" (الصفدي، ٢٠١٢، ٩٧)، فترى جزع ابن الرومي على عدم صبره في مصيبته، إذ مهاجمة المنايا، وعدم التسليم بالقضاء، هو أمر شائع بين البشر، ولا يختص بابن الرومي، لكن تخصيص المنايا بالتعمد قد يكون متفرداً به ابن الرومي، وذلك يتوافق مع نفسيته المتشائمة في تفسير المعاني (الفوتي، ٢٠١٩، ٦٧).وتحدث ابن الرومي عن ابنه، فقد تناول ذلك المحور سخط الشاعر على الموت، وتحسره على فقدان ابنه الأوسط، بسبب المرض الذي أصابه قبل موته، فيذكر الشاعر الماضي، وما كان ينعم به من سعادة مع ابنه، وكأن الشاعر يرثي نفسه بقوله (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٥):

طواهُ الرَّدى عنّي فأضحى مَزَارهُ
بعيداً على قُرب قريباً على بُعدِ
لقد أنجزتْ فيه المنايا وعيدَها
وأخلفَتِ الآمالُ ما كان من وعدِ
لقد قلَّ بين المهد واللَّحد لبثُهُ
فلم ينسَ عهد المهد إذ ضمَّ في اللَّحدِ
ألحَّ عليه النَّزفُ حتى أحالهُ
إلى صُفرة الجاديّ عن حمرة الوردِ

يصور – هنا – الشاعر مشاهد الموت الذي اختار ابنه الأوسط في حين كان هو يرعاه متابعاً نشأته الجسدية والعقلية، وهو يكبر أمامه كالثمر الطيب في الوعي والحياة، ولكن الموت خطفه في تلك اللحظة من العمر، وقد شبه الأب ابنه من حيث المنزلة بواسطة العقد الأبدي، لأنه يجلب النظر، ولكن المنايا أطاحت بكل آماله، ولقد آمن ابن الرومي إلى الحياة بأنها نظرة تقوم على أساس التناقض، فابنه مطوي تحت طبقات الثرى، بعيداً كل البعد عنه، على الرغم من قرب قبره، فهو قريب بعيد، بعيد قريب (السعيدي، ٢٠٢٣، ١٦)، فالشعور النفسي بوقع المصيبة وشدة الألم يعكس الدلالة الإيحائية التي صورها ابن الرومي في النص، وهو يقف أمام ابنه الذي ينزف دماً، ووقع الفعل وشدته، وكيف إن النزيف لا ينقطع، نحن أمام لوحة لونية صفراء بعدما كانت حمراء، متخذاً منها دلالات الصحة والسقم، فمات الابن الأوسط لابن الرومي (محمد) فنظم الشاعر مرثية تعد واسطة العقد بين قصائد الرثاء في الشعر العربي، فهي قبس من النار التي تشتعل في قلب أب فقد صغيره وقد كبر، وملأ الدنيا عليه، ومع أن الشاعر ابن الرومي لا يخفي لواعج فؤاده لكنه لا يكشف لنا الغطاء عن قلبه (ابن ناصر، ٢٠١٣، ١٧) الذي تتصاعد منه النيران والآلام المبرحة، وهو لا يدعي شعوراً لا يحسه، وإنما يعبر عما يصطليه من لهيب تعبيراً تشم منه رائحة الضعف البشري، فترى ابن الرومي يقوم بالاعتراف بصراحة أنه ما كان ليرضى بفراق ابنه حتى لو أُعطي في مقابله الخلود في جنات النعيم (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٥):

وما سرني أن بعته بثوابه

ولو أنه التخليد في جنة الخلد

لا يرى في هذا تمرداً على قضاء الله، بل ضعفاً بشرياً لا أظن عفو الله يضعف عنه، لأن الله هو الرحمن الرحيم، هو خالق القلوب، ويعلم ما هي عليه من قوة ومن ضعف في كثير من الأحيان، وما كان يتوقعه له من خير بلذعة قلبه، فقد مضى ذلك كله، وأصبح في خبر كان، فلقد صفرت يده، ولذع قلبه، وبدلاً من أن يكون له سنداً يخفف عنه بعضاً من لهيب فؤاده، إذ قال (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٥-٦٢٦):

لكلِّ مكانٌ لا يسُدُّ اختلالهُ

مكانُ أخيه في جَزُوعٍ ولا جلدِ

هلِ العينُ بعدَ السَّمع تكفي مكانهُ

أم السَّمعُ بعد العينِ يهدي كما تهدي

وهنا تأمل كيف جعل الأبناء كأنهم جوارح، فإذا فقدنا أحد أبنائنا فكأننا فقدنا جارحةً من جوارحنا، ومن كان فاقداً بصره يتعزى عنه بأنه لا يزال متمتعاً بسمعه، فالإنسان في تلك الحالة لا يشعر إلّا بما فقده، أما مَنْ لم يحرم منه، فإنه لا يلتفت إليه، ولا يشعر به، إذ وجوده في نظره أمر مفروغ منه، فقال (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٥):

وإنّي وإن مُتِّعتُ بابنيَّ بعده

لذاكرُه ما حنَّتِ النِّيبُ في نجدِ

وأولادنا مثلُ الجَوارح أيُّها

فقدناه كان الفاجع البَيِّنَ الفقدِ

وهنا نعرف ما الذي يحدث للميت إذ يوضع في قبره، ولكن ابن الرومي يتظاهر بأنه لا يفهم ذلك! يا ترى ما الذي حدث لابني من بعدي، حيث قال (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٦):

لَعمري لقد حالتْ بيَ الحالُ بعدهُ

فيا ليتَ شِعري كيف حالتْ به بعدِي

وهل يجهل ذلك أحد، وهل ثمة إلّا الدود ينهش اللحم، فلا يبقي إلّا عظاماً نخرة، وإذا بهذه الكتلة من الحياة التي كانت تملأ الدنيا ضجيجاً، وكانت مفعمة بالآمال والمخاوف وشتى المشاعر قد اختفت من صفحة الوجود، فكأن الشاعر وهو يتساءل عن مصير ابنه يحاول جاهداً أن يبعد عن عينيه منظر صغيره وقد استحال إلى جثة هامدة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها عدوان الدود والتراب في ظلمات القبر (النحال، ٢٠١٣، ١٧).

المبحث الثاني: لغة رثاء الأبناء

اللغة الشعرية تعتبر الوسيلة الوحيدة التي يعبر بها ابن الرومي عن إحساسه الداخلي، وتعد وعاء التأمل للتجربة الشعرية، وذلك من خلال الوقوف على الألفاظ، وتوافق ذلك اللفظ مع الحالة الشعورية لدى الشاعر، واللغة في تلك القصيدة جاءت رفيعة وجزلة ميسورة، والألفاظ سهلة وواضحة،

وارتبطت رقتها بالمشاعر الإنسانية والوجدانية، وكذلك مشاعر الحزن والأسى، مثل: القبر والحزن والمرارة والموت، وكذلك ألفاظ ارتبطت برثاء أيضاً (الصفدي، ٢٠١٢، ٩٦-٩٧).

فابن الرومي يعلمنا بحالته المتأزمة عند فقد ابنه الأوسط، حيث نجد عاطفة الأسى والشعور بالحسرة قد غلبت على القصيدة، فابن الرومي – هنا – يخبرنا عن الوضع الذي يعيشه، والوضع الذي كان يتقاسمه مع ابنه أثناء المرض، فقد كان يتكلم عن ابنه (المفقود) الذي كان أوسطهم، أنه قد مات صغيراً لم ينس عهد المهد، فيقول الشاعر (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٥):

بُنَيَّ الذي أهدتهُ كفَّاي للثَّرَى
فيا عزَّةَ المهدى ويا حسرة المهدي
على حين شمتُ الخيرَ من لَمَحاتِهِ
وآنستُ من أفعاله آيةَ الرُّشدِ

فصور ابنه بالهدية التي تبذل طواعية، وصور التراب بالشخص الذي يهديه هدية قيمة، موضحاً استسلامه لقضاء الله وإرادته، ورغم أنه كان يتوسم في صبيه النجاح، وآنس فيه أفعال الرجولة والعزة والكرامة، وعلامات الصلاح، فيصور حسرته وخيبته وألمه في فقده.ويعد ابن الرومي أحد الشعراء البارعين في قصائد الرثاء، وذلك لما حلّ به من مصائب في فقده لأولاده، فقد اختلفت مواضع الرثاء عنده من رثاء الأهل والأقارب، ورثاء الوزراء والقادة، ورثاء المدن والجواري، فقد رثى ابنه البكر الذي مات وهو صغير لم يبلغ سن الرشد، كما رثى ابنه الأوسط الذي اختطفه الموت بعد صراع مع المرض، فامتلأت نفسه بالحزن، ودمعت عينه فأبدع كلمات باكية مؤثرة معبرة عن أحزانه التي لا تنتهي، فقد عبر عن فقده لولده الحبيب، فتراه يقول (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٥):

وظلَّ على الأيدي تساقط نَفْسُه
ويذوِي كما يذوي القضيبُ من الرَّنْدِ
فَيا لكِ من نفس تساقط أنفساً
تساقط درٍّ من نِظَام بـلا عقدِ
عجبتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ لهُ
ولو أنَّهُ أقسى من الحجر الصَّلدِ

نلمس من خلال تلك الأبيات أنه يخبرنا أن ابنه أخذ يذوي كما يذوي القضيب من الرَّنْدِ، والحقيقة أن هذه المماثلة وإن بدا منها مقدار من الحسية إلّا أنها تصرفنا عن المعنى القريب إلى معنى آخر أكثر تأثيراً في نفس الشاعر، وهو موت الابن في سن الحداثة، ويستحضره في الذهن من سهر أهله عليه، وقد أحاطوا به وقلوبهم فزعة خائفة وهم يرون أنهم عاجزون تماماً عن أن يمدوا إليه يد العون، فيتكلم عن ابنه ويصف حاله من شحوب الوجه وذبوله، وأهله يتناقلونه من يد إلى يد، والألم يعصر قلبه ويحرقه.ونلاحظ كيف حين قام بتشبيهه، فقد شبهه بأشياء صغيرة رهيفة، لا تتحمل العنف ولا القسوة، ولا تستطيع أن ترد عن نفسها عوادي الأيام، كالزهرة والريحان، ونلاحظ أيضاً أنه وهو يتذكر ابنه الحبيب يتمهل أمام أمور قد تبدو في ظاهرها أموراً غير مهمة، ولكن دلالتها لمن يدقق النظر فيها، ويعرف طبيعة الحياة والنفس البشرية، أي إنها دلالات كثيرة، كما في قوله (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٦):

كأني ما استمتعت منك بضمة
ولا شمّة في ملعب لك أو مهد

ويعبر – هنا – عن عدم إمهاله حتى يستمتع منه بضمة حب تشرح صدره، ولا عناق يستنشق معه رحيق الحياة، وهو شبه منفي يصور حالة الأب – هنا – يعانق ابنه حباً وحناناً، ولسان حاله يقول: إنه لم يستمتع بضمه ولا شمه، حتى يؤخذ منه، وقوله: (في ملعب لك أو مهد) طباق يؤكد افتقاده له في كل حالاته التي سعد بها معه، سواء كانت حين كان طفلاً في المهد، أم حين صار متى يلعب ويمرح حوله، وهي صورة تشبيهية منفية تؤكد حسرته على ضياع تلك الأوقات السعيدة.كلما رأى أخاً من إخوته، أو لعبةً من لعبه، فيقول (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٦):

أرى أخويكَ الباقِيينِ فإنما
يكونان للأحزَانِ أورى من الزَّندِ
إذا لعِبا في ملعب لك لذَّعا

فؤادي بمثل النار عن غير ما قَصدِ

فيوضح أنه رغم وجود أخويه الباقيين لكن آلامه لم تشفى، بل على العكس فهما يزيدان الجرح ناراً، فكلما رآهما زاره الحزن واليأس، فهما زند النار التي تحرق قلبه، وتكوي فؤاده، وهو من التشبيه التمثيلي، فرؤيتهما يلعبان سوياً بألعابه وأدواته يحرق ويوقد النار في قلبه أكثر، وهذا تصوير لحالة الحزن الشديد التي تدل على شديد حبه لطفله الفقيد، وعبر عنه بأسلوب الشرط.ومن صور الرثاء لابن الرومي، ورغم حالة الحزن والأسى التي حلت به وبقلبه بعد فقد ابنه إلّا أن هذا لم يمنعه أنه عاد إلى الواقع والحقيقة المرة في أن رجوع الأموات إلى الحياة مستحيل، كما أن ذهاب الأحياء لهم أكثر استحالة، ومن ثَمَّ رجا الله أن يورده في أحلامه تعويضاً لقلبه، لعل ذلك يخفف معاناته، وختم قصيدته بالدعاء لولده، وقراءة السلام عليه، وأن يزهر قبره ويضيء، وتفيض عليه رحمة الله تعالى، فقال (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٧):

ومن كانَ يَستهدي حَبِيباً هَديَّةً

فطيفُ خيالٍ منك في النوم أستهدي

عليك سلامُ الله مني تحيَّةً

ومنْ كل غيثٍ صادقِ البرْقِ والرَّعدِ

المبحث الثالث: صورة الرثاء الشعرية

كثرت الصور الفنية في شعر الرثاء لابن الرومي، لذلك نلحظ من وجود بعض الصور الفنية ما يزيد من إحكام النسج، ويكشف عن شدة حب ابن الرومي لابنه، ونجد أن شعره سهل، فهو لا يريد أن يشق على نفسه، ولا على سامعه، إذ يرسل لسانه على سجيته كما يقوم بإرسال نفسه على سجيتها، إذ نجد أنه من أقل الشعراء كلفاً بالغريب، والعناية بالجمال اللفظي على حساب الصورة، حيث تعبر الصورة الفنية عن تجربته الشعورية. (رشيد، ١٩٨٩، ٤١).فالصورة الشعرية هي "الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة في معناها الجزئي والكلي" (مصبح، ١٩٩٠، ١٣١)، أي إنها الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني (العربي، ١٩٩٠، ١٠)، وعلى الرغم من أن لغة الندب والبكاء والتحسر على الشباب هي التي طغت على رثاء الشباب عند الشاعر، ولهذا برزت اللغة الانفعالية التي تحتفي بالعاطفة أكثر من عنايتها بالتصوير، ولكننا لا نعدم وجود صور كثيرة مبتكرة، لم تر عند غيره من الشعراء، وهي ما جعلت ابن الرومي أكثر المخترعين لهذه الصور، ومنها قوله (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٤):

توخَّى حِمَامُ الموت أوسطَ صبيتي

فلله كيف اختار واسطةَ العقدِ

يوحي الكلام أن ابن الرومي كان في وسعه أن يتحمل اختطاف الموت لغير ابنه الأوسط، وهذا المعنى غير مقصود له جزماً، إذ يؤكد في غيره من الأبيات استحالة الاستغناء عن أحد أبنائه كما يستحيل الاستغناء عن أي عضو من أعضائه، فلكل منها أهميتها التي بدونها يحصل اختلال في البدن، وما هذا إلا دليل قاطع على أهمية الأبناء كلهم في حياة الشاعر (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٦):

أقرَّةَ عيني قدْ أطلت بُكاءها

وغادرتها أقْذَى من الأعْيُنِ الرُّمدِ

أقرة عيني لو فَدى الحَيُّ ميّتاً

فديتُك بالحوبَاء أوَّلَ من يفدِي

هنا يناجي الشاعر فقيده بأنه منبع سرور وفرحة، وقد غادره وإنه لن يغيب، كما أنه مستعد أن يموت بدلاً عن ابنه، لكن الموت لا يقبل بأن يموت أحد مكان غيره، وهذا ما ضاعف من أسى الشاعر، رغم أن ما يخفيه أضعاف ما يبديه من الحزن والأسى.وهو – هنا – يخاطب عينيه لعلهما تخبرانه إن لم يجودا بالدمع فيستحقان منه اللوم والعتاب، فطلب منهما أن تجودا لنعي فقيدهما، فهو يصور أحزانه ويعبر عنها عن طريق الإنشاء، كما أنه يتوعدهما باللوم إن توقفتا عن البكاء، وسيقوم بشكرهما إن أكملتا معه، وأسعدتاه بإدرار الدموع بقوله (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٦):

أعينيَّ جودا لي فقد جُدتُ للثَّرى

بأنفس ممَّا تُسأَلانِ من الرِّفدِ

أعينيَّ إنْ لا تُسعداني أَلُمْكُما

وإن تُسعداني اليوم تَستوجبا حَمدي
عذرتُكما لو تُشغلانِ عن البكا
بنومٍ وما نومُ الشَّجيّ أخي الجَهدِ

وقد أبدع ابن الرومي في رثائه لابنه، وعرض فجيعته وتحسره، فصور الموت يتوعد الابن منذ ولادته، وقد لعبت نزعة التشاؤم دورها في هذا المقام، فقال (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٥):

لقد أنجزتْ فيه المنايا وعيدَها
وأخلفَتِ الآمالُ ما كان من وعدِ

لقد كان الخوف ملازماً للشاعر، ومسيطراً عليه، ونتج هذا عن تهديد الموت ووعيده لابنه، ورغم ذلك فقد نفذت المنايا وعيدها وتهديدها، واستحال أثر الحب الأبوي من سعادة غامرة بالولد إلى حرقة دائمة. في حين أن الآمال أخلفت بوعودها التي آنسها في أفعاله وملامحه، وفي هذا البيت تصوير للاستعارة المكنية بين المنايا ونفاذ وعيدها وبين الآمال وخلفها لآماله، فقد اعتبر كلاً منهما شخصين تباريا في التنفيذ والخلف، فالاستعارة ترى الجماد ينطق، والميت يلهو ويمرح، والأجسام تنخرس، والمعاني الخفية واضحة، وهذا سر الاستعارة المكنية.ونلاحظ في البيت تأكد الشاعر التام من إنجاز المنية لوعيدها، وتخلف الآمال عن وعدها، وقد قدم الجار والمجرور فيه للتأكيد، مضافاً إلى كلمة (أنجزت) التي تدل على سرعة التنفيذ.ومن الصور الشعرية البليغة عند ابن الرومي في إطار التضاد الظاهر بين القرب والبعد، فعمق الشاعر إحساسه بجزعه من الآلام التي صار يعاني منها، وبرفضه فكرة الموت، إذ قابل بين وجوده في دار الحياة وبين رقود ابنه في القبر، أي بين وحشة القبر ووحشة الحياة، فلم يجد بينهما فرقاً، فقال (نصار، ٢٠٠٣، ٦٢٥):

وأنتَ وإن أُفرِدْتَ في دار وحْشةٍ
فإني بدار الأنسِ في وحشة الفردِ
أودُّ إذا ما الموتُ أوفدَ مَعشَراً
إلى عَسكر الأمواتِ أنّي من الوفْدِ

وذلك لأن القبر قطع إحساس الشاعر بالوجود، وجعله يستشعر الغربة، وكأن الغربة تتمثل في انقطاع الشاعر عن الامتداد في حياة الابن، ومضاعفة وجودها بوجوده، فهنا يقوم الشاعر بمخاطبة فقيده، ويخبره بوحدته في القبر بلا أنيس، ومن ثم تمنى لو أنه واحد من جماعات الموت فيذهب إلى المقابر، ويحظى بلقائه، ويستمتع معه من جديد. وفي البيتين العديد من الصور الشعرية من الكناية في قوله: (في دار الوحشة)، وهي القبر الذي لا جليس فيه، ولا أنيس، كما يظهر التضاد في (دار الوحشة، دار الأنس)، إذ يعبر عن اختلاف أماكنهم من بعد الآن، فكلٌّ في داره.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية في شعر رثاء الأبناء عند ابن الرومي انتهى البحث إلى الآتي:

أ- الرثاء عند ابن الرومي يمتاز بالخصوصية العاطفية والإنسانية، للصلة الروحية بين الأب الشاعر وأبنائه

ب- لغة شعر الرثاء عند ابن الرومي تكاد أن تكون لغة خاصة به، قد لا تشبه لغة الرثاء عند الشعراء الآخرين.

ج- أما الصورة الشعرية فهي كذلك تعبر عن خصوصية واضحة عمّا يعتمل في نفس ابن الرومي من عاطفة حزينة تستشعر ألم فقد الأبناء موضوعياً وفنياً.

المصادر:

١- ابن ناصر، عبد الرحمن، (٢٠١٣)، تأثير الواقع النفسي للشاعر في اتساق اللفظ والمعنى مع واقعه، مصر، جامعة المنيا – كلية دار العلوم، مجلة الدراسات العربية، العدد ٢٧.

٢- الخفاجي، عبد المنعم، (١٩٩٢)، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ط١، بيروت، دار الجيل.

٣- رشيد، ناظم، (١٩٨٩)، الأدب العربي في العصر العباسي، الموصل، جامعة الموصل، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.

٤- السعيدي، د. عبد الكريم خضير عليوي، (٢٠٢٣)، رثاء الابن بين أبي ذؤيب الهذلي وابن الرومي – دراسة موازنة في سيمياء الأهواء، ذي قار، جامعة سومر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١.

٥- الصفدي، د. أركان، (٢٠١٢)، ابن الرومي الشاعر المجدد، دمشق، الهيئة السورية العامة للكتاب.
٦- ضيف، د. شوقي، (د. ت)، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ط١١، القاهرة، دار المعارف.
٧- العربي، محمد، (١٩٩٠)، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي.
٨- الغفاري، عبد الرسول، (٢٠١٦)، ابن الرومي وصورته الحقيقية من خلال شعره، الكوفة، جامعة الكوفة، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد ١٨.
٩- الفوتي، وفاء عمر عثمان، (٢٠١٩)، قصيدة الرثاء عند ابن الرومي – دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، المدينة المنورة، جامعة أم القرى.
١٠- مصبح، علي علي مصطفى، (١٩٩٠)، الصورة الأدبية – تاريخ ونقد، ، مصر، دار إحياء الكتب العربية.
١١- النجار، أسعد محمد علي، (٢٠١٢)، الرثاء عند شعراء الحلة، بابل، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العدد ٢.
١٢- النحال، منال سليم، (٢٠١٣)، الشعر العربي في القرن (١٩م / ١٣هـ)، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب.
١٣- نصار، د. حسين، (٢٠٠٣)، ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.

Sources:

1- Al-Arabi, Muhammad, (1990), The Poetic Image in Critical Rhetorical Discourse, 1st edition, Beirut, Arab Cultural Center.
2- Dhaif, Dr. Shawqi, (D. T.), The Pre-Islamic Era, Shawqi Deif, 11th edition, Cairo, Dar Al-Maaref.
3- Ibn Nasser, Abdel Rahman, (2013), The influence of the poet's psychological reality on the consistency of pronunciation and meaning with his reality, Egypt, Minya University - Faculty of Dar Al-Ulum, Journal of Arab Studies, Issue 27.
4- Al-Futi, Wafa Omar Othman, (2019), Ibn al-Rumi's poem of lamentation - an objective study, Master's thesis, Medina, Umm al-Qura University.
5- Al-Ghafari, Abdul Rasoul, (2016), Ibn al-Rumi and his true image through his poetry, Kufa, University of Kufa, Journal of the College of Education for Girls for Humanities, Issue 18.
6- Al-Khafaji, Abdel Moneim, (1992), Literary Life in the Pre-Islamic Era, 1st edition, Beirut, Dar Al-Jeel.
7- Al-Nahhal, Manal Salim, (2013), Arabic Poetry in the Century (19 AD/13 AH), Master's Thesis, Gaza, Islamic University, College of Arts.
8- Al-Najjar, Asaad Muhammad Ali, (2012), Lamentation among the Poets of Hilla, Babylon, Journal of the Babylon Center for Cultural and Historical Studies, Issue 2.
9- Nassar, Dr. Hussein, (2003), The Diwan of Ibn al-Rumi, edited by: Hussein Nassar, Cairo, Dar al-Kutub and National Archives.
10- Musabih, Ali Ali Mustafa, (1990), The Literary Image - History and Criticism, Egypt, Dar Revival of Arab Books.
11- Rashid, Nazim, (1989), Arabic Literature in the Abbasid Era, Mosul, University of Mosul, Dar Al-Kutub Directorate for Printing and Publishing.
12- Al-Safadi, Dr. Arkan, (2012), Ibn al-Rumi, the Renewed Poet, Damascus, Syrian General Book Authority.
13- Al-Saidi, Dr. Abdul Karim Khudair Aliwi, (2023), The Son's Elegy between Abu Dhu'ayb al-Hudhali and Ibn al-Rumi - A Balancing Study in the Alchemy of Desires, Dhi Qar, Sumer University, Journal of Human Sciences, Issue 1.